"عقيدة ختم النبوة
في ضوء القرآن والسنة"

الباحث / نعمان قيوم عبد القيوم
قسم دراسات وبحوث الديانات
معهد البحوث والدراسات الأسيوية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين وخاتم النبيين.

أما بعد ،،

علي الرغم من أن عقيدة ختم النبوة في العقيدة الإسلامية من الأمور المعلومة في الدين بالضرورة إلا أنه وللأسف الشديد نتيجة للجهل الذي سود المجتمعات الإسلامية بشبه القارة الهندية واختلاط المسلمين بالديانات الوثنية الهندية وتحت حماية وتشجيع الاستعمار الإنجليزي، نشأت في العصر الحديث دعوات انتشرت كالهشيم في الخطب.

ومن هنا قام الباحث بكتابة البحث العلمي عن عقيدة ختم النبوة في ضوء القرآن والسنة لشرح كا ما تتعلق بالعقيدة ختم النبوة شرحات تفصيليا.

أهداف البحث :

١- تحديد مفهوم عقيدة ختم النبوة لغة وشرعا.

٢- توضيح ملاحم عقيدة ختم النبوة في ضوء القرآن والسنة.

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في فهم أهمية عقيدة ختم النبوة وفهم المبادئ العامة للإثبات عقيدة ختم النبوة.

منهج البحث :

يتبنى البحث المنهج التحليلي حيث تم فهم الموضوع من القرآن والسنة.

خطة البحث :

أولا: المقدمة :-

وفيها شرح مختصر لموضوع البحث.

ثانيا: البحث:-

وتم تقسيمه إلى فعرين ويندرج تحت كل فرع عدد من العناصر الفرعية كالتالي:-

الفرع الأول:- مفهوم ختم النبوة:-

أولا: معنى كلمة "ختم" في لغة العرب.

ثانيا: معنى "النبوة" في لغة العرب.

ثالثا: المعنى المركب "لختم النبوة" ومعنى الرسالة لغة.

رابعا: أقوال العلماء في معنى النبي والرسول شرعا.

الفرعي الثاني:- الوحي والنبوة في القرآن والسنة.

- الوحي والنبوة.
- النصوص الواردة في ختم النبوة.

والخاتمة :-

ثم المصادر والمراجع :-

مفهوم ختم النبوة

عند تحرير أي مفهوم، لا بد من الرجوع إلى كتب اللغة المختصة، واستخراج المعنى اللغوي لهذه اللفظة، مع ربطه بالمعنى الشرعي للخروج بنتيجة ذات قيمة، وفائدة.

وقبل بيان المعنى الكلي لمفهوم "ختم النبوة"، لا بد من التوضيح لكل مفردة، ثم يأتي بعدها المعنى العام المركب.

أولاً: معنى كلمة "ختم" في لغة العرب.

عند الرجوع لكتب اللغة يتبين أن مادة: "ختم" لها عدَّة معان وهي على النحو التالي:

ـــ **الطَّبْع:** قال في "مقاييس اللغة": وهو الطَّبْع على الشيء، فذلك من الباب أيضًا؛ لأن الطبع على الشيء لا يكون إلا بعد بلوغ آخره في الأحراز. والخاتم مشتق منه؛ لأنه به يختم[١]، وقال في "أساس البلاغة": والخاتم وهو الطَّابع، وقال أيضًا: سُمِّي باسم الطَّابع لأنه به يختم، والخَتْم على القلب:أن لا يَفْهَم شيئًا ولا يَخْرُج منه شيء كأنه طَبْعٌ، وفي التنزيل العزيز: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[٢]، هو كقوله تعالى:﴿طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[٣] فلا تعقل ولا تعي شيئًا[٤].

قال أبو إسحاق[٥]: معنى خَتَم وطَبَع في اللغة واحد، وهو التَّغْطِيَة على الشيء والاستيثاق من أن لا يدخله شيء كما قال جلا وعلا:﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٦]

ثانيًا: معنى" النبوة" في لغة العرب.

بعد الرجوع لكلام العرب تبين أن كلمة "نبي" لها ثلاث اشتقاقات وهي:ـــ

---

(١) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق محمد عبد السلام هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٩م، ٢/٢٤٥.

(٢) سورة البقرة: (الآية: ٧).

(٣) سورة النحل: (الآية:١٠٨).

(٤) محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، نسخة إلكترونيةbdf، ١/٢٣١. انظر الرابط التالي: http://waqfeya.com/book.php?bid=1476

(٥) أبو إسحاق: إبراهيم بن بشير بن عبد الله البغدادي الحربي(١٩٨ ــ ٢٨٥هـ/ ٨١٥ ــ ٨٩٨م)، من أعلام المحدثين. أصله من مرو، واشتهر وتوفي ببغداد، ونسبته إلى محلة فيها. صنَّف كتبًا كثيرة منها (غريب الحديث)، وكان عنده اثنا عشر ألف جزء في اللغة وغريب الحديث، كتبها بِخطِّه. للمزيد انظر: الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ج١، ص٣٢.

(٦) سورة محمد: (الآية: ٢٤).

١ ــ من "**النبأ**"أي الخبر. فيكون اشتقاق الكلمة من الفعل نَبَأ، ونَبَّأ، وأنبأ، أي أخبر. قال ابن فارس: النون والباء والهمزة قياسه الإتيان من مكان إلى مكان،..ومن هذا القياس النبأ: أي الخبر لأنه يأتي من مكان إلى مكان، والمُنَبِّيء المخبر، ومن همز النبِيَّ فلانه أخبر عن الله تعالى[١]

٢ ـــ من "**النَّبْوة**"، " **النباوة**"، وكلاهما يدلان على الارتفاع، فهي بمعنى العلو. فيكون اشتقاق الكلمة من الفعل "نَبَا" بدون همز أي علا وارتفع. قال بعض العلماء:" هو من "النَّبْوَة" أي الرِّفْعَة، وسمي نبيًّا لرفعة محله عن سائر الناس، المدلول عليه يقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[٢]، فالنبي بغير همز أبلغ من النبي بالهمز[٣].

ثالثًا: المعنى المركب "لختم النبوة"

لم يستطع الباحث الوقوف على تعريف لــ"ختم النبوة" بهذا التركيب، ولكن من خلال المعاني اللغوية السابقة، مع مراعاة الحد الشرعي في ختم النبوة الذي أجمعت عليه الأمة؛ فيكون المعنى هو: انتهاء النبوة وانقطاع وحي السماء ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: معنى الرسالة لغة

الرسول في اللغة مأخوذ من الإرسال بمعنى التوجيه، أو من الرَّسَلِ بمعنى التتابع أخذًا من قولهم: رَسَل اللبن، إذا تتابع درُّه.

قال الراغب: أصل الرَّسْل: الانبعاث على التؤدة[٤].

وهذه المعاني كلها تصح في معنى الرسول، فهو الذي بعثه الله تعالى، ووجَّهه إلى عباده للدَّعوة إليه وحده، وهو الذي يتابع الأخبار عن الله تعالى ويسردها لقومه، ومما يشهد لذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[٧][٨]

خامساً: أقوال العلماء في معنى النبي والرسول شرعًا

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، جـ٥، صـ٣٨٥.

(٢) سورة مريم، (الآية: ٥٧).

(٣) الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، جـ١، صـ٧٩٠.

(٤) الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، جـ١، صـ٣٥٢.

(٥) سورة المائدة: (الآية: ٦٧).

(٦) سورة يونس: (الآية: ٧٤).

(٧) سورة النحل: (الآية: ٣٦).

(٨) سهيل مطيع مصلح حطَّاب، ختم النبوة في الكتاب والسنة، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، كلية الدراسات العليا، ٢٠١٤م، صـ٢١.

اختلف العلماء اختلافًا بَيِّنًا في تعريف النبي والرسول شرعًا، وبيان الفرق بينهما وانقسموا إلى فريقين: الفريق الأول: يذهب إلى عدم الفرق بينهما، ويضمُّ أغلب المعتزلة وبعض الأشاعرة والسلف.

والفريق الثاني: يذهب إلى أن هناك فرقًا بينهما، وإلى هذا ذهب أغلب علماء السلف وبعض المعتزلة والأشاعرة. وهذا يدل على أنه ليس للاتجاه المذهبي تأثير فيما ذهب إليه علماء كل فريق(١).

وسنعرض لنماذج من آراء الفريقين، لما للتعريف من أهمية في تحديد مفهوم ختم النبوة وختم الرسالة.

من آراء الفريق الأول قول القاضي عبد الجبار(٢):فاعلم أنه لا فرق في الاصطلاح بين النبي والرسول(٣).

ومِمَّن وافقه على ذلك من الأشاعرة الإمام الجويني(٤)، حيث قال: "النبوة ترجع إلى قول الله تعالى لمن يصطفيه أنت رسولي"(٥).

والإيجي(٦) الذي قال عن البي صلى الله عليه وسلم أنه:" من قال له الله لأرسلتك، أو بلغهم عني"(١).

ومن السلف أيضًا ابن جرير الطبري(٢)، حيث قال في تفسير قوله تعالى:﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾(٣)، أي "يقتلون رسل الله الذين ابتعثهم لإنباء ما أرسلهم به عنه لمن أرسلوا إليه"(٤).

---

(١) أحمد بن ناصر، النبي والرسول، مكتبة القدس، فلسطين، طـ١، ١٤١٤هـ، صـ١٥.

(٢) القاضي عبد الجبار : هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، أحد رؤساء المعتزلة في زمانه، من مؤلفاته" شرح الأصول الخمسة"،" المغني في أبواب التوحيد والعدل"،" وفضل الاعتزال"،" وطبقات المعتزلة"، من كبار فقهاء الشافعية، سمع من : علي بن إبراهيم بن سلمة القطان، ولعله خاتمة أصحابه، ومن عبد الله بن جعفر بن فارس بأصبهان، وغيرهم . ولي قضاء القضاة بالري، وتصانيفه كثيرة، مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعمائة. للمزيد انظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، طـ٣، ١٩٨٥م، جـ١٧، صـ٢٤٤.

(٣) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، طـ٣، ١٩٨٥م، صـ٥٦٧.

(٤) الإمام الجويني: هو أبو المعالي عبد الملك بن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري الشافعي، ولد سنة ٤١٩هـ، وهو من أئمة علم الكلام والفقه، من تصانيفه" النهاية في الفقه"، " والشامل في أصول الدين"، "الإرشاد في أصول الدين"، توفي سنة ٤٧٨هـ. للمزيد انظر: الإمام الذهبي، المرجع السابق، جـ١٨، صـ٤٦٨.

(٥) الإمام الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في الاعتقاد، تحقيق محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، مصر، طـ١، ١٩٥٠م، صـ٣٥٥.

(٦) الإيجي: عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الإيجي، قاضي قضاة المشرق، كان إمامًا في غلوم متعددة، له تصانيف كثيرة في علم الكلام، وفي أصول الفقه، واختلف في سنة وفاته فقال السبكي مات سنة ٧٥٦هـ.

أما الفريق الثاني، فمن أمثلته الإمام البيضاوي[٥] القائل:" الرسول من بعثه الله بشريعة مُجَدِّدَة يدعو الناس إليها، والنبي يَعُمَّه، ومن بعثه لتقرير شرعٍ سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام، ولذلك شبَّه النبي صلى الله عليه وسلم علماء أمَّته بهم[٦]، فالنبي أعم من الرسول. وقيل: الرسول مَن جمع إلى المعجزة كتابًا منزَّلا عليه، والنبي غير الرسول مَن لا كتاب له، وقيل: الرسول من يأتيه الملَك بالوحي، والنبي: يقال له ولِمَن يوحَى إليه في المنام[٧].

وقال القرطبي[٨]: " الرسول والنبي اسمان لمعنيين؛ فإن الرسول أخصُّ من النبي، وقدَّم الرسول اهتمامًا بمعنى الرسالة، وإلا فمعنى النبوة هو المتقدِّم؛ ولذلك ردَّ الرسول صلى الله عليه وسلم على

وقال ابن العماد سنة ٧٥٣هـ. للمزيد انظر: ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط١، ١٩٨٦م، ج٨، ص٢٩٨.

(١) الإيجي، المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت، بدون، ص٣٣٧.

(٢) ابن يزيد بن كثير، الإمام العلم المجتهد، عالم العصر أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل طبرستان، مولده سنة أربع وعشرين ومائتين وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين، وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما،واستقر في أواخر أمره ببغداد. وكان من كبار أئمة الاجتهاد، للمزيد انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٤، ص٢٦٧ وما بعدها.

(٣) سورة آل عمران: (الآية: ٢١).

(٤) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م، ج٢،، ص١٤٠.

(٥) الإمام البيضاوي: هو: عبد الله بن عمر بن علي القاضي ناصر الدين البيضاوي الشيرازي الشافعي، فقيه شافعي المذهب أشعري المعتقد، مفسر نحوي وأصولي متكلم، يكنّى بأبي سعيد وأبي محمد وأبي الخير، ولد القاضي ناصر الدين البيضاوي –رحمه الله– في مدينة"البيضاء"بفارس قرب شيراز إلاّ أن مصادر ترجمته لم تذكر تاريخ ميلاده، تعددت مؤلفات البيضاوي، وتنوعت شأنه في ذلك شأن كثير من العلماء الذين لايقتصرون على علم واحد، والناظر إلى مؤلفات البيضاوي يجد هذا واضحاً من مصنفاته المختلفة في مجالات العلوم فألف في أصول الدين، وأصول الفقه، وفي الفقه والتفسير، والحديث، والعربية، والتاريخ وغيرها. للمزيد انظر، الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، (٤/١١٠).

(٦) حديث "علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل"، قال عنه الألباني: حديث لا أصل له باتفاق العلماء. انظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، نسخة إلكترونية، ج١، ص٦٧٩، حديث رقم، ٤٦٦. على الرابط التالي: http://waqfeya.com/book.php?bid=505

(٧) الإمام البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ج٤، ص٧٥.

(٨) الإمام القرطبي:شيخ الموصل أبو بكر، يحيى بن سعدون بن تمامالأزدي القرطبي المقرئ النحوي، ولد سنة ست وثمانين وأربعمائة، ويلقب بصائن الدين، أخذ القراءات عن أبي القاسم خلف بن النخاس بقرطبة، وعن أبي القاسم بن الفحام بالإسكندرية، وكان ثقة متقنا، بارعا في العربية ، بصيرا بعلل القراءات، دينا خيرا

البراء حين قال: (وبرسولك الذي أرسلت)، فقال له: (قل آمنت بنبيك الذي أرسلت)، خرَّجه في الصحيح[١]، وأيضًا فإن في قوله (وبرسولك الذي أرسلت) تكرير الرسالة، وهو معنى واحد، فيكون كالحشو الذي لا فائدة فيه، بخلاف قوله: (ونبيك الذي أرسلت) فإنهما لا تكرار فيهما، وعلى هذا فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسول؛ لأن الرسول والنبي قد اشتركا في أمر عام وهو النبأ، وافترقا في أمر خاص وهو الرسالة، فإذا قلت محمد رسول من عند الله، تضمن ذلك أنه نبي ورسول الله، وكذلك غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم[٢].

وهناك من قال: إن الرسول من أوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه[٣].

سادساً: الوحي والنبوة

الوحي والنبوة مرتبطان ارتباطًا عضويًّا؛ لأن النبي لا يمكن أن يكون نبيًّا إلا إذا تلقَّى وحيًا من الله تعالى، وبالتالي فالعلاقة بين مفهوم الوحي ومفهوم ختم النبوة علاقة وثيقة، فهل ختم النبوة يعني انقطاع الوحي؟ أم أن الوحي مستمر ولا تأثير لختم النبوة عليه؟

ستناقش الدراسة الإجابة على هذا الموضوع من خلال ما يلي:

١ ـــــ الوحي لغة

جاء في لسان العرب: "وأصل الوَحْي في اللغة كُلُّها إعلام في خفاء، ولذلك صار الإلهام يسمى وحيًا.. وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحيًا[٤].

قال الراغب الأصفهاني: "أصل الوَحْي الإشارة السريعة، ولتضمُّن السرعة قيل: أمَر وحْيٌ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعويض، وقد يكون بصوت مرتفع مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة[٥].

قال الزمخشري[١]: "أوحي إليه وأومي بمعنى، ووحيت إليه وأوحيت إذا كلمته بما تُخْفيه عن غيره، وأوحى الله إلى أنبيائه، ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[٢]، ووحى وحيًا: كتب. قال رُؤْبة[٣]: لقدر كان وحاه الواحي. ويقال: الوحا الوحا، والوحاك الوحاك في الاستعجال، وتوحَّى: أسرع[٤].

ناسكا، وافر الحرمة، تخرج به أئمة، توفي بالموصل يوم عيد الفطر سنة سبع وستين وخمسمائة. للمزيد انظر: الإمام الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، جـ٢٠، صـ٥٤٧.

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون، جـ٤، حديث رقم ٢٧١٠، صـ٢٠٨١.

(٢) الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، طـ٢، ١٩٦٤م، جـ٧، صـ٢٩٨.

(٣) عبد الرحمن البراك، شرح العقيدة الطحاوية، دار التدمرية، ٢٠٠٨م، جـ٢، صـ٨٧.

(٤) ابن منظور، مرجع سابق، جـ١٥، صـ٣٨١.

(٥) الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، جـ١، صـ٨٥٨.

٢ ـــ الوحي شرعًا

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٥].

تبين هذه الآية مراتب الوحي الخاص بالأنبياء المُتمَثِّلة في:

أ ـــ ما يقذفه الله تعالى في قلب المُوحَى إليه.

ب ـــ التكليم من وراء حجاب.

جـــ ـــ الوحي بواسطة ملك.

وسيتم تفصيل هذه المراحل بعد استعراض التعريفات الاصطلاحية للوحي. فالوحي بمعناه الشرعي تناوله أكثر من عالم، فقد عبَّر ابن خلدون[٦] عن مفهوم الوحي بقوله: "استغراق لقاء الملك الروحاني بإدراك الأنبياء المناسب لهم الخارج عن مدراك البشر بالكلية، ثم يتنَزَّل إلى المدارك البشرية، كل ذلك في لحظة واحدة، بل في أقرب من لمح البصر[٧].

---

(١) الإمام الزمخشري: كبير المعتزلة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمدالزمخشري الخـوارزمي النحـوي صاحب " الكشاف " و " المفصل" رحل وسمع ببغداد من نصر بن البطر وغير، كان مولده بزمخشر -قريـة من عمل خوارزم -في رجب سنة سبع وستين وأربعمائةقال السمعاني :برع في الآداب ، وصنف التصانيف ، ورد العراق وخراسان ، ما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه ، وتلمذوا له ، وكان علامة نسابة ، جاور مدة حتى هبت على كلامه رياح البادية . مات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة. للمزيد انظر: الذهبي، سـير أعلام النبلاء، جـ٢٠، صـ١٥١.

(٢) سورة النحل: (الآية: ٦٨).

(٣) هو رُؤْبة بن العجَّاج التميمي الراجز، من أعراب البصرة. سمع أباه والنسَّابة البكري، وروى عنه يحيى القطان، وأبو عبيدة، وأبوزيد النحوي، وطائفة، وكان أبوه قد سمع من أبي هريرة، توفي سنة ١٤٥هـ. للمزيد انظر: الإمام الذهبي، مرجع سابق، جـ٦، صـ١٦٢.

(٤) الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، طـ١، ١٩٩٨م، جـ٢، صـ٣٢٤.

(٥) سورة الشورى: (الآية: ٥١).

(٦) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، وليّ الدين الحضرميّ الإشبيلي، من ولد وائل بـن حجر:(808 – 732)هـ = (١٣٣٢ – ١٤٠٦ م) الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله مـن إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس. رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتـولى أعمـالا، واعترضـته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق. وولي فيهـا قضـاء المالكية، ولم يتزيّ بزيّ القضاة محتفظا بزيّ بلاده. وعزل، وأعيد. وتوفي فجأة فـي القـاهرة. الزركلـي، الأعلام، مرجع سابق، جـ٣، صـ٣٣٠.

(٧) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، طـ١، ١٩٨٨م، جـ١، صـ١٢٣ـ ١٢٤.

وعرَّفه الزرقاني[١] فقال: "أمَّا الوحي فمعناه في لسان الشرع أن يُعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم ولكن بطريقة سريَّة خفيَّة غير معتادة للبشر، ويكون على أنواع شتَّى:

منه ما يكون مكالمة بين العبد وربِّه، كما كلَّما الله موسى تكليمًا.

ومنه ما يكون إلهامًا يَقْذِفُه الله في قلب مُصْطفاه على وجهٍ من العلم الضروري، لا يستطيع له دفْعًا، ولا يجد في نفسه شكًّا.

ومنه ما يكون منامًا صادقًا يجِيء في تحَقُّقِه ووقوعه كما يجِيء فَلق الصبح في تَبَلُّجه وسطوعه.

وهذه المعاني جميعها تتضمن وصف الوحي بأنه صلة للمُصْطَفى بعالم الغيب وتلقِّيه عِلمًا من الله تعالى بطريقة سِرِّيَّة وخَفيَّة، يتبعها تَيَقُّن من المُوحَى إليه من مصدر الوحي ومن فحواه

٣ ــ النبوة والوحي

لقد شاء الله تعالى بعد هبوط الناس إلى الأرض أن يهديهم بالوحي إلى النبيين والمرسلين، قال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢]، وذلك (الهدى) هو الذي جاء على لسان النبيين والمرسلين. وكلمة النبوة مأخوذة من معنى النبأ أي لخبر كما سبق أن أسلفنا.

فالنبي هو الذي يأتيه الخبر وحيًا بأمر من الله تعالى. والنبوة أمر بين العبد وبين الله. ومن جاءه الوحي بالأنباء والأحكام من رب العالمين فهو نبي.

أما كلمة الرسالة فتشير إلى تكليف الله تعالى أحد عباده بإبلاغ الناس أمرًا تشريعيًّا أو حكمًا أو خبرًا. فالرسالة تصف العلاقة بين الأنبياء والرُّسُل وبين الناس.

فالنبي هو من يأتيه النبأ وحيًا عن طريق المَلَك من الله سبحانه وتعالى بالأحكام والتشريعات، وعندما يُكَلَّف بإبلاغها إلى الناس يكون نبيًّا ورسولاً. قال ابن حزم[٣]: "والنبوَّة هي الوحي من الله تعالى بأن

---

(١) الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم (٠٠٠ – ١٣٦٧ هـ = ٠٠٠ – ١٩٤٨ م)، محمد العظيم الزُّرْقاني (بضم الزاي) :من أهالي الجعفرية في المحافظة الغربية من مصر. ونسبته إلى زرقان وهي بلدة تابعة لمحافظة المنوفية. ولد في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث. وتوفي بالقاهرة. من كتبه (مناهل العرفان في علوم القرآن – ط) و (بحث – ط) في الدعوة والإرشاد. للمزيد من المعلومات عن الإمام الزرقاني انظر: الزركلي، الأعلام، ٢١٠/٦.

(٢) سورة البقرة: (الآية: ٣٨).

(٣) ابن حزم: ولد أبو محمد بقرطبة في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، الإمام الأوحد ، البحر ، ذو الفنون والمعارف أبو محمد ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد ، الفارسي الأصل ، ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي – رضي الله عنه– المعروف بيزيد الخير ، نائب أمير المؤمنين أبي حفص على دمشق ، الفقيه الحافظ ، المتكلم

يعلم المُوحَى إليه بأمرٍ ما يَعْلَمُه لم يكن يَعْلَمُه قبل. والرسالة هي النبُوَّة وزيادة، وهي بَعْثَتُه إلى خَلْقٍ ما بأمر ما، هذا ما لا خلاف فيه[١].

أمَّا النظام الذي يسير عليه الكون بأمر الله الذي عبَّر عنه تعالى بالوحي في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾[٢]، وكذلك الإلهام الغريزي الذي جعل كل حيوان أو نبات يقوم بدوره المرسوم له وصفه القرآن بالوحي أيضًا فقال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[٣]، فهذا الوحي تنظيمي وليس وحيًا نبويًّا، وهو مستمر لا ينقطع.

وإلهام التوجيه الذي يطْلُبُه المستخير في صلاة الاستخارة، أو الذي حصل مع أم موسى، أو مع مريم، أو الحواريين، ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾[٤]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٥]، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾[٦].

هذا الإلهام يُعَدُّ وحيًا توجيهيًّا، وليس وحيًّا خاصًّا بالأنبياء عليهم السلام، وهو مستمرٌّ لا ينقطع أيضًا، أمَّا الوحي الخاص بالأنبياء فهو على مراتب

مراتب الوحي الخاص بالأنبياء

كما ذكرنا آنفًا فقد حدد قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ مراتب الوحي الخاص بالأنبياء وهي كالتالي:

المرتبة الأولى:

وهي الوحي المجرد وذلك وهو ما يقذفه الله تعالى في قلب المُوحَى إليه مما أراد بحيث لا يشك فيه أنه من عند الله. ودليله قوله تعالى: ﴿إِلاَّ وَحْيًا﴾، ومثال ذلك ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: " إن روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب"[٧].

، الأديب ، الوزير الظاهري ، صاحب التصانيف. للمزيد انظر: الذهبي، سير أعلم النبلاء، مرجع سابق، جـ١٨، صـ١٨٤.

(١) ابن حزم الظاهري، المحلى بالآثار، كتاب التوحيد، دار الفكر، بيروت، بدون، جـ١، صـ٧١.

(٢) سورة فصلت: (الآية:١٢).

(٣) سورة النحل:(الآية: ٦٨).

(٤) سورة المائدة: (الآية: ١١١).

(٥) سورة فصلت: (الآية: ٣٠).

(٦) سورة القصص: (الآية: ٧).

(٧) أخرجه مالك، ٢٩٠٢، وابن ماجه ٢٧٢٥، وصححه الألباني، انظر: الألباني، صحيح الجامع الصغير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م، مج ١، حديث رقم ٢٠٥٨، صـ٤١٩.

وأَلْحَق بعض أهل العلم بهذا القسم رؤى الأنبياء في المنام كرؤيا إبراهيم عليه السلام على ما أخبر الله عنه في قوله تعالى:﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾[١]، وكرؤى النبي ﷺ في بداية البعثة على ما روى الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: " أول ما بُدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح"[٢].

المرتبة الثانية

وهي التكليم من وراء حجاب بلا واسطة، كما ثبت ذلك لبعض الرسل والأنبياء، كتكليم الله تعالى موسى على ما أخبر الله به في أكثر من موضع من كتابه، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[٤]، وكتكليم الله آدم عليه السلام، قال قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[٥].وكتكليم الله تعالى نبينا محمد ﷺ ليلة الإسراء على ما هو ثابت في السنة ودليل هذه المرتبة من الآية قوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾.

المرتبة الثالثة:

الوحي بواسطة الملَك. ودليله قوله تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٦]، وهذا كنزول جبريل عليه السلام بالوحي من الله تعالى على الأنبياء والرسل، والقرآن كله نزل بهذه الطريقة، تكلَّم الله به، وسمعه جبريل عليه السلام من الله عز وجل، وبلَّغه جبريل محمدًا ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ۞نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾[٨].

وهذا الوحي المُوجَّه إلى الأنبياء قد انقطع بموت الرسولﷺ ولم يبْقَ من صُوَرِه الّا الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح فتتحقق، أخبرنا بذلك الرسول ﷺ ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله عليه وسلم ﷺ يقول: "لم يَبْقَ من النُبوَّة إلَّا المُبَشِّرَات"، قالوا يا رسول الله وما المبشرات؟ قال: " الرؤيا الصَّالحة"، وعلَّق مصطفى البغا في حاشية البخاري على الحديث بقوله: " ولم يَبْق"، أي بعد ثبوته إلَّا المبَشِّرات. جمع مبشَّرة من التبشير، وهو إدخال السرور والفرح على المُبَشَّر، والمراد أن الوحي ينقطع بموتهﷺ، ولا يبقَ ما يُعلم منه ما سيكون إلَّا الرؤية[٩].

---

(١) سورة الصافات: (الآية: ١٠٢).

(٢) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، (صحيح البخاري)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، جـ١، حديث رقم٣، صـ٧.

(٣) سورة النساء: (الآية: ١٦٤).

(٤) سورة الأعراف: (الآية: ١٤٣).

(٥) سورة البقرة: (الآية: ٣٧).

(٦) سورة الشورى: (الآية: ٥١).

(٧) سورة الشعراء: الآية: ١٩٢/ ١٩٣).

(٨) سورة النحل: (الآية: ١٠٢).

(٩) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، جـ١، حديث رقم٣، صـ٧.

والرؤيا الصالحة ليست نبوة وإنما هي جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، فقد أورد البخاري عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ قال: "رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة"[١]. والجزء لا يمكن أن يكون الكل بحال من الأحوال، فلا يمكننا اعتبار الطواف وحده حجًّا أو اعتبار السجود صلاة ..الخ.

لذلك فالنبوة انقطعت بعد الرسول ﷺ وليس ثمَّة نبيٌّ بعده يُوحَى إليه.

سابعاً: النصوص الواردة في ختم النبوة

تعد الشهادتان (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله) هما قاعدة الإسلام وأصله، وهما مفتاح الجنة، وباب كل خير، وهما كذلك أجلُّ ما يدين المسلم به لربه، وأشرف ما يحمله إلى العالمين.

قال ﷺ: " أشهد أن لا إله إلا الله، وأنِّي رسول، لا يَلْقَى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة"؛ فالذي يؤمن بهاتين الشهادتين من غير شكٍّ ولا مرية يدخل الجنة.

ويُخبر النبي ﷺ عن موعودٍ آخر لهؤلاء المؤمنين، ألا وهو الأمن من النار فيقول: "ما من عبدٍ يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، إلا حرَّمه الله على النار".

ولذلك فإن المسلم حين يؤمن بنبوة النبي ﷺ إنما يؤمن بعقيدة راسخة رسوخ الجبال الرواسي، ورسوخها مصدره أنها عقيدة قامت على العلم والدليل والبرهان.

وقد دعانا القرآن الكريم للتأمل في دلائل نبوة النبي ﷺ في غير آية، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[٢].

ومن هنا فإن الباحث يرى أن عرض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الواردة بشأن ختم النبوة، ومناقشة الآراء الواردة بشأنهما، يُحَقق الهدف من الدراسة في الرد على القاديانية وأمثالها من الفرق الضالة المارقة عن الإسلام.

وسيتناول الباحث النصوص الواردة بشأن ختم النبوة من خلال ما يلي:

١ ـــ ختم النبوة في القرآن

يمكن تقسيم الآيات القرآنية ذات العلاقة بختم النبوة إلى قسمين:

أ ـــ آيات تدل على خاتمة الرسالة المحمدية، وقفل باب النبوة بعد محمد ﷺ.

ب ـــ آيات أثيرت الشبهات حول دلالتها فاستخدمها القائلون بإجراء النبوة كأدلة على دعاويهم.

أ ـــــ الأدلة القرآنية على قفل باب النبوة بعده ﷺ.

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، جـ٩، رقم الحديث٦٩٨٧، صـ٣٠.

(٢) سورة سبأ: (الآية: ٤٦).

ـــــ **آيات التصريح بالختم** كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[١]، وتُشَكِّل هذه الآية محور البحث بكون النبيﷺ خاتم النبيين، ولا يستطيع أحدٌ إنكار ذلك؛ لكن معنى الختم هو مجال الأخذ والرد عند أصحاب الشبهات وعلى رأسهم القاديانية، وهو ما تم الرد عليه من قبل حركة ختم النبوة.

قرأ عاصم بن أبي النجود "وخاتم "بفتح التاء، على معنى أن النبي عليه الصلاة والسلام خُتم به النبيون، فلا نبي بعده، ولا فعل له في ذلك، فمعناه: آخر النبيين، وقرأ الباقون" خاتم " بكسر التاء، على أن النبي صلى الله عليه وسلم فاعل من " ختم " فهو قد ختم النبيين، ولا نبي بعده، فالنبي قد ختم الأنبياء بمجيئه وهو الاختيار عند القراءة لأن الجماعة عليه[٢].

وذهب الحافظ ابن كثير رحمه الله أن هذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريق الأولى والأحرى،لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس ... ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك، دجال، ضال مضل ولو تحرق وشعوذ، وأتى بأنواع السحر والطلاسم،وكذلك كل مدعي لذلك إلى يوم القيامة[٣].

ويقول الرازي آية الختم في (خاتم النبيين):لأن النبي الذي يكون بعده نبي إن ترك شيئاً من النصيحة والبيان يستدركه من يأتي بعده، وأما من لابني بعده يكون أشفق علي أمته وأهدى لهم وأجدى، إذ هو كوالد لولده الذي ليس له غيره من أحد[٤].

ـــــ **آيات تُقرِّر عموم الرسالة المحمدية:** فالرسالة الإسلامية موَجَّهة لجميع البشر في كل زمان ومكان بعد مبعث محمد ﷺ ، وهذا يمكن اعتباره دليلًا على كونها آخر الرسالات وكون محمد ﷺ آخر الرسل، فما الداعي لإرسال نبي جديد إذا كان محمد ﷺ هو رسول الله لكل إنسان وُجِد على الأرض منذ مبعثه عليه السلام إلى قيام الساعة؟ ويتضح معنى عموم الرسالة في آيات كثيرة منها قوله تعالى:﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾[٦]، وقوله جلا وعلا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٧]، وقوله تبارك اسمه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[٨].

---

(١) سورة الأحزاب: (الآية: ٤٠).

(٢) أبو عبد الرحمن مشرف بن علي الحمراني، عقيدة ختم النبوة في ضوء العقيدة الإسلامية، رسالة دكتوراه، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤٣٤هـ، صـ٥.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار التراث العربي، بدون رقم للطبعة، جـ٣، صـ٢٤.

(٤) الرازي، مرجع سابق، جـ٥، صـ٢٤.

(٥) سورة الأعراف: (الآية: ١٥٨).

(٦) سورة النساء: (الآية: ٧٩).

(٧) سورة الأنبياء: (الآية: ١٠٧).

(٨) سورة سبأ: (الآية: ٢٨).

ففي هذه الآيات الكريمة بيان من الله تعالي بعموم رسالة نبينا محمدًا ﷺ دون استثناء لجنس أو نوع، مما يدل دلالة قاطعة على عالمية رسالة الإسلام التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم، وفي هذا يبين الإمام الطبري رحمه الله مدلول هذه الآية الكريمة فيقول: "يقول الله تعالى ذكره لنبيه ﷺ(قل) يا محمد للناس كلهم،" إني رسول الله إليكم جميعاً لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي من الرسل، مرسلاً إلى بعض الناس دون بعض فمن كان منهم أرسل كذلك، فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض، ولكنها إلى جميعكم[١].

ـــــ آيات تبين كون القرآن الكريم نذيرًا للعالمين وحجة على كل من بلغه

قال الله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾[٢]، وقال جلا وعلا: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[٣].

فإذا كان القرآن الذي بين يدي البشر نذيرًا لهم جميعًا وحجة مستمرة عليهم، ومعلوم أن هذا القرآن الكريم هو معجزة سيد الخلق وخاتمهم محمد ﷺ ، فما الحاجة لنبي جديد يحمل كتابًا جديدًا نذيرًا للبشر.

ـــــ آيات الإخبار باكتمال الدين

قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٤].

تخبرنا هذه الآية أن الدين قد تمَّ واكتمل، ويُفهم منها أن لا شيء يُمكن إضافته إلى الكامل بعد كماله وتمامه، وهذا دليل على أن الإسلام هو الدين الأخير، فهو كامل بشكل مطلق ولا حاجة لنبوة جديدة لن تضيف إلى هذا الكامل شيئًا.

ويذكر الحافظ بن كثير رحمه الله في تأويل قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا).أن هذه الآية أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره،ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن؛ فلا حلال إلاّ ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف[٥].

---

(١) الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ، طـ١، جـ٣، صـ٣٤.

(٢) سورة الأنعام: (الآية: ١٩).

(٣) سورة الفرقان: (الآية: ١).

(٤) سورة المائدة: (الآية: ٣).

(٥) ابن كثير، مرجع سابق، جـ٢ صـ١٢.

وقد عُلم من التفسير المذكور، أن الله تعالى قد أكمل الدين فلا حاجة إلى أي دينٍ جديد، وأن سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء، فلا حاجة بل ولا مجال لوجود أي نبي تشريعي أو غير تشريعي ظلي أو بروزي بعده صلى الله عليه وسلم[١].

ويقول الإمام الرازي في تفسيره:

"المسألة الرابعة: قال أصحاب الآثار: إنه لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم لم يُعمِّر بعد نزولها إلا واحدًا وثمانون يومًا، أو اثنين وثمانون يومًا، ولم يحصل في الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ ولا تبديل[٢].

كما يقول الرازي لمزيد من الإيضاح:

"ومما يؤكد ذلك ما روي أنه صلى الله عليه وسلم لمّا قرأ هذه الآية مع الصحابة فرحوا جدًّا وأظهروا السرور العظيم إلا أبا بكر فإنه بكى، فسُئل عنه فقال: هذه الآية تدل على قرب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه ليس بعد الكمال إلا الزوال[٣].

فإن لم يُقصد من كمال الدين وإتمام النعمة انتهاء نزول الأحكام وانقطاع وحي النبوة، ولم يُقصد به وفاة النبي لكان بُكاء أبي بكر الصديق في غير موضعه ولغوًا أيضًا، فالحاصل أن هذه الآية دليل يُبيِّن ختم النبوة[٤].

ـــــ آيات تعهَّد المولى جلا وعلا فيها بحفظ القرآن الكريم

إن قوله تعالى تقدَّست أسماؤه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٥]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ* لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٦]، يجعل من تصور الحاجة إلى نبوة جديدة أمرًا مستحيلًا، ويُؤكد بما لا لا يدع مجالاً للشك إغلاق باب النبوة، لأن الله تعالى حين تعهَّد بحفظ كلامه، أكَّد لنا أن هذا الكلام سيبقى كما هو ولن يستطيع أحد تحريفه أو الزيادة عليه أو الإنقاص منه، فهو كتاب عزيز، وهو يحمل الرسالة الكاملة للبشر في كل زمان ومكان، دون حاجة إلى نبي جديد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:"فما وقع في تفسير القرآن أو نقل الحديث، أو تفسيره من غلط فإن الله يقيم له من الأمة من يبينه، ويذكر الدليل على غلط الغالط وكذب الكاذب، فإنّ هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، ولا يزال فيها طائفة ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة، إذ كانوا في آخر الأمم؛ فلا نبي بعدهم ولا كتاب بعد كتابهم، وكانت الأمم قبلهم إذا بّدلوا وغيَّروا بعث الله نبياً يبين لهم

---

(١) منظور أحمد شنيوتي، الأصول الذهبية في الرد على القاديانية، مطابع الوحيد، مكة المكرمة، ١٤٢٨هـ، صـ٤٨٨.

(٢) الرازي، مرجع سابق، ١٤٢/١١.

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) منظور أحمد شنيوتى، مرجع سابق، صـ٤٨٩.

(٥) سورة الحجر: (الآية: ٩).

(٦) سورة فصلت: (الآية: ٤٢/٤١).

ويأمرهم وينهاهم، ولم يكن بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي، وقد ضمن الله أن يحفظ ما أنزله من الذكر، وإن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، بل أقام الله لهذه الأمة في كل عصر من يحفظ به دينه من أهل العلم والقرآن[١].

ـــــ آيات يأمر الله تعالى فيها بالإيمان بالقرآن الكريم والكتب المُنَزَّلة قبله

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً* أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾[٣].

في الآيات السابقة دلالة على أنه لو كان هناك رسل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لطالبنا الله بالإيمان بهم كما طالبنا الله بالإيمان بمن قبله، وكذلك الإيمان بجميع الكتب المتقدمة.

ـــــ الآيات التي تحتوي على لُفْظة "ختم" أو أحد مشتقاتها أو دلالاتها في كل مواضعها على أن معنى الخاتم هو الآخر

فالمفسرون يرون أن معاني الآخر أو القفل أو الإغلاق موجودة في كل مشتقات (الختم) الواردة في القرآن الكريم، فلماذا يرى بعض الذين في قلوبهم مرض أن الختم في سورة الأحزاب لا يحمل هذه المعاني؟ هذا وقد وردت لُفْظة ختم أو مشتقاتها في سبع مواضع في القرآن الكريم وهي:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٤].

قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: " وأصل الختم: الطَّبْع، والخاتَم هو الطَّابع. يُقال منه: ختمت الكتاب، إذا طبعته، فمعنى الختم على القلوب وعلى الأسماع التي بها تُدْرك المسموعات، ومن قِبَلها يُتوصل إلى معرفة حقائق الأنباء عن المُغيَّبات، نظير معنى الختم على سائر الأوعية والظروف"[٥].

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾[٦].

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، دار الكتب العلمية، الرياض، بدون رقم للطبعة، ١٤١٢هـ، جـ٥، صـ١٣٢.

(٢) سورة النساء: (الآية: ١٣٦).

(٣) سورة النساء: (الآية: ١٥٠/١٥١).

(٤) سورة البقرة: (الآية: ٧).

(٥) الطبري، مرجع سابق، جـ١، صـ١٢٨.

(٦) سورة الأنعام: (الآية: ٤٦).

قال الطبري: "يقول الله تعالى ذِكْره لنبيه قل، يا محمد، لهؤلاء العادلين بي الأوثان والأصنام، المكذبين بك، أرأيتم، أيها المشركون بالله غيرَه، إن أصمَّكم الله فذهب بأسماعكم، وأعماكم فذهب بأبصاركم، وختم على قلوبكم فطبع عليها، حتى لا تفقهوا قولاً ولا تبصروا حجة، ولا تفهموا مفهومًا[١].

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾[٢]، ذكر ابن جرير أن معنى (اليوم نختم على أفواههم)، اليوم نطبع على أفواه المشركين، وذلك يوم القيامة[٣].

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٤]، قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: أم يقول هؤلاء المشركون بالله (افترى) محمد (على الله كذبًا) فجاء بهذا الذي يتلوه علينا اختلاقًا من قِبَل نفسه. وقوله (فإن يشأ الله) يا محمد يطبع على قلبك، فتنس هذا القرآن الذي أنزل إليك[٥].

الموضع الخامس: قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾[٦]، قال الطبري: " وقوله (وختم على سمعه وقلبه) يقول تعالى ذكره: وطبع على سمعه أن يسمع مواعظ الله وآي كتابه، فيعتبر بها ويتدبرها، ويتفكر فيها، فيعقل ما فيها من النور والبيان والهدى. وقوله (وقلبه) يقول: وطبع أيضًا على قلبه، فلا يعقل به شيئًا، ولا يعي به حقًّا [٧].

الموضع السادس:قال تقدَّست أسماؤه: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾[٨].

الموضع السابع: قال تعالى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[٩]

يعرض الإمام الطبري أقوالاً عِدَّة في معنى مختوم وختام، ويُرجِّح في النهاية معنى الآخر والعاقبة فيقول: " وأما قوله: (مختوم ختامه مسك) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله؛ فقال بعضهم: معنى ذلك: ممزوج مخلوط، مزاجه وخلطه مسك ...وقال آخرون: بل معنى ذلك أن آخر شرابهم يُختَم بمسكٍ يُجْعل فيه ...وقال آخرون: عُني بقوله (مختوم) مُطَيَّن، (ختامه مسك) طينه مسك.. وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال معنى ذلك: آخره وعاقبته مسك: أي طيبه الريح،

---

(١) الطبري، مرجع سابق، جـ١١، صـ٣٦٥.

(٢) سورة يس: (الآية: ٦٥).

(٣) الطبري، مرجع سابق، جـ٢٠، صـ٦٥.

(٤) سورة الشورى: (الآية: ٢٤).

(٥) الطبري، مرجع سابق، جـ٢١، صـ٥٣١.

(٦) سورة الجاثية: (الآية: ٢٣).

(٧) الطبري، مرجع سابق، جـ٢٢، صـ٧٦ ـ ٧٧.

(٨) سورة المطففين: (الآية: ٢٥).

(٩) سورة المطففين: (الآية: ٢٦).

إن ريحها في آخر شُربهم يُختم لها بريح المسك. وإنما قلنا: ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصحة؛ لأنه لا وجه للختم في كلام العرب إلا الطبع والفراغ [١].

ب ـــــ آيات أُثيرت حول دلالتها شُبُهات تتعلق بختم النبوة

من الملاحظ أن هناك بعض الشُبُهات قد أُثيرت حول دلالة بعض الآيات، اعتمد من قال باستمرار النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم على هذه الشُبُهات.

ويرى الباحث أن عرض هذه الآيات والآراء بشأنها ومناقشتها ضروري ليس فقط من أجل الرد على القاديانية بل من أجل الرد على كل من يَدَّعي إجراء النبوة وعدم ختمها، الأقدمين منهم والمعاصرين ومن سيأتي بعدهم، لأن أعداء الإسلام كُثُر، وهؤلاء موجودون في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة.

ـــــ شُبهة حول دلالة استخدام الفعل المضارع في بعض الآيات التي تتحدث عن إرسال الرسل، فهناك من يقول: إن الفعل المضارع يُفيد الحال والاستقبال في دلالته اللغوية، وهو بالتالي يُفيد ذلك في الآيات القرآنية كما هو الحال في كلمة (يأتِيَنَّكم)، الواردة في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢].

وأيضًا في كلمة (يَصْطَفِي) في قوله تعالى: ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٣]، وكذلك كلمة (يَجْتَبِي) في آية ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٤]، حيث فهم هؤلاء هؤلاء أن (يأتِيَنَّكم) و(ويَصْطَفِي) و(يَجْتَبِي)، لكونها أفعالاً مُضارعه تتضمن أن الرسل سيظلُّون يأتون، وأن الله تعالى سيَظَلُّ يصْطفي رُسلاً ويجتبي منهم من يشاء، وأن هذه العملية مستمرة ولن تتوقف، وأن القول بأن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو آخر الأنبياء، ولن يأتي بعده نبي يتعارض مع مدلول هذه الآيات[٥].

ودفع هذه الشبهة، أن الفعل الواقع في الماضي قد يُعبَّر عنه بصيغة المضارع لمقتضيات بلاغية، منها أن يكون المعنى موضع غرابة، فإن المضارع من جهة دلالته على الحال يتوسل به المتكلم البليغ إلى إخراج الحادث الغريب في صورة الواقع في الحال، ليبلغ تعجُّب المخاطب من وقوعه مبلغ تعجُّب من الصورة البديعية في حال مشاهدتها، وعلى هذا الوجه ورد قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٦]، قال تعالى: "فيكون" والموضع

---

(١) الطبري، مرجع سابق، جـ٢٤، صـ٢٩٦ ـ ٢٩٨.

(٢) سورة الأعراف: (الآية:٣٥).

(٣) سورة الحج: (الآية: ٧٥).

(٤) سورة آل عمران: (الآية: ١٧٩).

(٥) سهيل مطيع مصلح حطاب، ختم النبوة في الكتاب والسنة، مرجع سابق، صـ٥٢ ـ ٥٣.

(٦) سورة آل عمران: (الآية: ٥٩).

والموضع في الظاهر للماضي لأن وجود إنسان من غير أب حادث غريب، فحاله يقتضي أن يُعَبَّر عنخ بالمضارع لإحضاره في ذهن المخاطب حتى كأنه مشاهدٌ له[١].

ومن دواعي التعبير عن الماضي بصيغة المضارع الإشارة إلى استمرار الفعل وتجدُّده فيما مضى حيناً بعد حين، فإن الاستمرار التجددي يُستفاد من المضارع على ما جرى عليه استعمال البلغاء، وصيغة الماضي لا تعرج على هذا المعنى، فالتعبير بصيغة المضارع في قوله (يصطفي) وقوله (يجتبي) تدل على معنى زائد على أصل الاصطفاء الذي يدل عليه الماضي ويقف عنده، وذلك المعنى هو أن اصطفاء الرسل كان يتجدد ويقع مرة بعد أخرى، والقرينة الشاهدة بأن (يصطفي) مراد منه الاصطفاء الواقع قبل نزول هذه الآية، ألا وهي آية (وخاتم النبيين) والأحاديث المستفيضة في إغلاق باب الرسالة والنبوة[٢].

ـــــ كما أُثيرت شُبهة حول دلالة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[٣]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[٤]، فقد استدل بعضهم بهذه الآيات على استمرار النبوة بدلالة الإنعام، فالله على حسب زعمهم مستمر في إنعامه على مُطِيعي الله ورسوله، وعلى الذين يطلبون أن يهديهم إلى صراط الذين أنعم عليهم، وهذا الإنعام قد يتضمَّن جعلهم أنبياء أو صدِّيقين أو شهداء.

والرد على هؤلاء: أنه ليس في الآيات دليل قط على استمرار النبوة بعد رسول اله، صلى الله عليه وسلم، وإنما مقصود الآية كما ذكر ابن كثير: "إن مَنْ عمل بما أمره الله ورسوله، وترك ما نهاه الله عنه ورسوله، فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامته ويجعله مرافقاً لمن ذكر في الآية"[٥].

فلو صحَّ كلام هؤلاء من أن مقصود قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم)، هو الانضمام إلى طائفة الأنبياء والصديقين والشهداء، وأنها تأتي بمثابة تعليم من الله لنا بأن نُلِحَّ في طلبها، حتى نُصبح أنبياء وصديقين وشهداء، لكان معنى هذا: أنه يصح لكل مسلم أن يكون نبيًّا، بل كل مسلم نبي، وهذا ما لا يمكن أن يتصوُّره عقل.

٢ ـــــ ختم النبوة في الحديث الشريف

الأحاديث الشريفة التي لها علاقة بمفهوم ختم النبوة كثيرة، لا يكاد يخلو كتاب من كتب الحديث من العشرات منها، وهي تتنوع ما بين الصحيح والحسن والضعيف والموضوع، لكن عقيدة

---

(١) محمد الخضر حسين، طائفة القاديانية، بحث في كتاب أضواء على الحركات الهدامة ثلاث رسائل عن القاديانية، مكتبة دار البيان، الكويت، بدون، صـ٦٨.

(٢) المرجع السابق، صـ٦٩.

(٣) سورة النساء: (الآية: ٦٩).

(٤) سورة الفاتحة: (الآية: ٧).

(٥) ابن كثير، مرجع سابق، جـ١، صـ٢١٠.

لها أهميتها الدينية والدنيوية مثل عقيدة ختم النبوة لا بد من إثباتها بالأدلة الصحيحة السالمة من النقد والشك والرد.

ومن هذه الأحاديث

ـــــ عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلَّما هلك نبيٌّ خلفه نبيٌّ، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون"، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: "فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقَّهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم"(١).

فالحديث يُقارن بين بني إسرائيل الذين كان يتعاقب فيهم على حكمهم الأنبياء، وبين الأمة الإسلامية الذين سيحكمهم الخلفاء وليس الأنبياء؛ لأنه لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم. و"لا" في دلالتها اللغوية تنفي الجنس. والنفي عام يشمل الزمان والمكان جميعهما إذا لم يتم التخصيص(٢).

ـــــ عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فُضِّلت على الأنبياء بِستٍّ أُعْطِيت جوامع الكَلِم، ونُصِرتُ بالرُّعب، وأُحِلَّت لي الغنائم، وَجُعِلَت لي الأرض طهورًا أو مسجدًا، وأُرْسِلت إلى الخلق كافة وخُتِمَ بي النبيون(٣).

يشير الحديث إلى أن إحدى ميزات النبي صلى الله عليه وسلم التي فُضِّل بها على غيره من النبيين كونه خُتِم به النبيون، ولا شك أن ذكر ذلك بعد الإشارة إلى إرساله إلى الخلق كافة له دلالة. فالنبي الذي أرسل إلى الماس كافة لا حاجة لنبي بعده فهو النبي الآخر.

ـــــ عن أبي هريرة، رضي الله عنه، في حديث الشفاعة العظمى: "فيقول عيسى إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله قط ولن يغضب بعده مثله ... اذهبوا إلى محمد فيأتون محمدًا فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه"(٤).

ـــــ عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لم يبقَ من النبوة إلا المُبَشِّرات"، قالوا وما المبشرات قال: "الرؤيا الصالحة"(٥).

فهذا الحديث نص صريح في انتهاء النبوة بشكلٍ عام، وببقاء جزءٍ من النبوة وهو المبشرات التي هي الرؤيا الصالحة، ومن ادَّعى غير ذلك يصطدم ادعاؤه بالنَّص.

ـــــ عن سعد ابن أبي وقَّاص، رضي الله عنه، قال: خلَّف رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًّا بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله تُخَلِّفُني في النساء والصبيان؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "أما ترضى أن تكون مِنِّي بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي"(١).

---

(١) البخاري، مرجع سابق، جـ٤، حديث رقم ٣٤٥٥، صـ١٦٩.

(٢) سهيل مطيع مصلح حطاب، مرجع سابق، صـ٥٤.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، جـ١، حديث رقم٥٢٣، صـ٣٧١.

(٤) البخاري، مرجع سابق، حديث رقم ٤٧١٢، جـ٦، صـ٨٤.

(٥) المرجع السابق، كتاب التعبير، باب المبشرات، جـ٩، حديث رقم ٦٩٩٠، صـ٣١.

وكلمة (بعدي) في هذا الحديث مُطْلقة الدلالة لعدم وجود ما يُقيِّدها أو يُحَدِّدها بزمان أو مكان.

ـــــ عن جابر، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه قال: "مَثَلي ومَثَلُ الأنبياء كمثل رجلٍ بنى دارًا فأتمَّها وأكملها إلا موضع لَبِنَة فجعل الناس يدخلونها ويتعجَّبون منها ويقولون: لولا مَوْضِع اللبِنَة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فأنا مَوْضِع اللبِنَة جِئْتُ فَخَتَمْتُ الأنبياء"[٢].

ـــــ عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن مَثَلِي ومَثَلُ الأنبياء من قَبْلِي كمثَل رجلٍ بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لَبِنة من زاوية فجعل الناس يطوفون ويُعْجَبُون له ويقولون: هلا وُضِعَت هذه اللبنة قال: "فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"[٣].

فاكتمال بناء دار النبوات باللبنة الأخيرة التي تَحدَّث عنها صلى الله عليه وسلم واضح الدلالة في أنه لا مكان لنبي آخر في هذا البناء بعد أن وُضِعت اللبنة الأخيرة بِبَعْث النبي صلى الله عليه وسلم.

ـــــ عن جُبير بن مُطْعَم، رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لي خَمْسَة أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحْشر الناس على قَدَمِي، وأنا العاقب"[٤]، وفي رواية للإمام مسلم: "إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحْشر الناس على قَدَمِي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد"[٥]، ولعل توضيح النبي صلى الله عليه وسلم لمعنى العاقب لا يحتاج إلى تعقيب.

ـــــ عن أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسَمِّي لنا نفسه أسماء فقال: أنا محمد وأحمد والمُقَفَّى والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة"[٦]. وقد شرح النووي كلمة (المُقَفَّى) في كتابه المنهاج فقال: "قال "شمَّر": هو بمعنى العاقب وقال "ابن الأعرابي": هو المتبع للأنبياء، يُقال: قفوته أقفوه وقفيته أقفيه إذا اتبعته، وقافية كل شيء آخره[٧].

---

(١) المرجع نفسه، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، جـ٦، حديث رقم ٤٤١٦، صـ٤.

(٢) المرجع نفسه، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، جـ٤، حديث رقم٣٥٣٤، صـ١٨٦.

(٣) المرجع نفسه، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، جـ٤، حديث رقم ٣٥٣٥، صـ١٨٦

(٤) المرجع نفسه، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم، ٣٥٣٢، جـ٤، صـ١٨٥.

(٥) مسلم، مرجع سابق، كتاب الفضائل، باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ٢٣٥٤، جـ٤، صـ١٨٢٨.

(٦) مسلم، مرجع سابق، كتاب الفضائل، باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ٢٣٥٥، جـ٤، صـ١٨٢٨.

(٧) النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيت الأفكار الدولية، عمان، الرياض، ط١، ٢٠٠٠م، كتاب الفضائل، باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ١٢٦، صـ١٤٤٢.

ـــــ عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى يُبْعَثَ دَجَّالون كَذَّابون قريبًا من ثلاثين كُلُّهم يَزْعُم أنه رسول الله"(١)، فهذا الحديث يُشَخِّص مُدَّعِي النبوة بعده صلى الله عليه وسلم، ويذكر عددهم، ويَصِفهم بالدجالين، وهو صلى الله عليه وسلم في حديث جابر بن سمرة التالي يتحدث عن كذابين يَدَّعُون النبوة، ويدْعُو إلى الحذر منهم.

ـــــ عن جابر بن سمرة، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن بين يَدَيْ الساعة كذابين، وفي رواية "فاحذروهم"(٢)

ـــــ عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإني آخِرُ الأنبياء وإن مسجدي آخِرُ المساجد"(٣).

فعبارة "آخر الأنبياء" تصرح بوضوح وجلاء أنه لن يكون بعده نبي، فهو عليه السلام الآخِر في ترتيب بعثة الأنبياء، وعبارة "آخر المساجد" التي قد تُثَار حول دلالتها الشُّبُهات لا يُمكن أن يُفْهم منها إلا أنه صلى الله عليه وسلم هو الآخِر، وليس هناك حاجة لتأويلها، فمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم هو آخِر المساجد التي تُشَدُّ إليها الرحال وجودًا بعد المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وهذا ثابت تاريخيًّا(٤).

ـــــ قال ابن أبي أوفى، رضي الله عنه، وقد سُئل عن إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم: "مات صغيرًا، ولو قُضِيَ أن يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي لعاش ابنه، ولكن لا نبي بعده"(٥).

ويتضح من الحديث أن الصحابة، رضي الله عنهم، فهموا أن آخر الأنبياء هو محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الله تعالى أراد تأكيد هذا بأن لم يَرْزقه صلى الله عليهم وسلم أبناء ذكورًا يعيشون حتى لا يترك مجالاً للتفكير بمجيء نبي آخر بعده، فقد كان من السنن المعروفة أن يبعث الله تعالى الأنبياء من نسل الأنبياء، وقد أنهى الله تعالى هذه السنة بأن قضى ألا يعيش للنبي صلى الله عليه وسلم ولد ذكر لكونه آخِر الأنبياء(٦).

---

(١) البخاري، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٣٦٠٩، جـ٤، صـ٢٠٠.

(٢) مسلم، مرجع سابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، حديث رقم ٢٩٢٣، جـ٤، صـ٢٢٣٩.

(٣) المرجع السابق، كتاب الحج، باب فضل الصلاة في مسجدي مكة والمدينة، حديث رقم ١٣٩٤، جـ٢، صـ١٠١٢.

(٤) سهيل مطيع مصلح حطاب، مرجع سابق، صـ٥٨. بتصرف.

(٥) البخاري، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب من سمي بأسماء الأنبياء، حديث رقم ٦١٩٤، جـ٨، صـ٤٣. صـ٤٣.

(٦) سهيل مطيع مصلح حطاب، مرجع سابق، صـ٥٨. بتصرف

إن عبارات، لا نبي بعدي، وخُتِمَ بي النَبِيُّون، وخاتم الأنبياء، فَخَتَمْتُ الأنبياء، وأنا خاتم الأنبياء، فأَتْمَمْتُ تلك اللَّبِنَة، وأنا العاقب، وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي، والمُقَفَّى، فإني آخِر الأنبياء، ولا نبي بعدي، عبارات صريحة في ختم النبوة، وما فهمه المسلمون منها أنه صلى الله عليه وسلم آخِر الأنبياء الذي ليس بعده نبي إطلاقًا؛ لكن ما يبعث على الدهشة، ويُثير الحفيظة أن قومًا انحرفوا في الفهم ففهموا غير هذا المعنى، فاتخذوا من فهمهم هذا ذريعة لادعاء النبوة، والقول باستمرارها.

الخاتمة

ويتضح من الحديث أن الصحابة، رضي الله عنهم، فهموا أن آخر الأنبياء هو محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الله تعالى أراد تأكيد هذا بأن لم يَرْزقه صلى الله عليهم وسلم أبناء ذكورًا يعيشون حتى لا يترك مجالاً للتفكير بمجيء نبي آخر بعده، فقد كان من السنن المعروفة أن يبعث الله تعالى الأنبياء من نسل الأنبياء، وقد أنهى الله تعالى هذه السنة بأن قضى ألا يعيش للنبي صلى الله عليه وسلم ولد ذكر لكونه آخِر الأنبياء(١).

إن عبارات، لا نبي بعدي، وخُتِمَ بي النَبِيُّون، وخاتم الأنبياء، فَخَتَمْتُ الأنبياء، وأنا خاتم الأنبياء، فأَتْمَمْتُ تلك اللَّبِنَة، وأنا العاقب، وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي، والمُقَفَّى، فإني آخِر الأنبياء، ولا نبي بعدي، عبارات صريحة في ختم النبوة، وما فهمه المسلمون منها أنه صلى الله عليه وسلم آخِر الأنبياء الذي ليس بعده نبي إطلاقًا؛ لكن ما يبعث على الدهشة، ويُثير الحفيظة أن قومًا انحرفوا في الفهم ففهموا غير هذا المعنى، فاتخذوا من فهمهم هذا ذريعة لادعاء النبوة، والقول باستمرارها.

(١) سهيل مطيع مصلح حطاب، مرجع سابق، صـــ٥٨. بتصرف

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. **ابن تيمية، مجموع الفتاوى، دار الكتب العلمية، الرياض، بدون رقم للطبعة، ١٤١٢هـ**

٢. ابن حزم الظاهرى، الفصل فى الملل والأهواء والنحل، دار المعرفة، بيروت.

٣. **ابن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.**

٤. **ابن فارس، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.**

٥. ابن منظور الأفريقي، لسان العرب. دار صادر بيروت، ١٩٩٧م.

٦. **أبو عبد الرحمن مشرف بن علي الحمراني، عقيدة ختم النبوة في ضوء العقيدة الإسلامية، رسالة دكتوراه، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤٣٤هـ**

٧. **أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق محمد عبد السلام هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٩م.**

٨. **أحمد بن ناصر، النبي والرسول، مكتبة القدس، فلسطين، ط١، ١٤١٤هـ**

٩. **الإمام الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في الاعتقاد، تحقيق محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، مصر، ط١، ١٩٥٠م**

١٠. **الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة**

١١. **الإمام النسفي، تفسير النسفي(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، تحقيق يوسف علي بديوي، دا الكلم الطيب، بيروت**

١٢. **الإمام مسلم، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت**

١٣. **الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية**

١٤. **الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٩٩٦م**

١٥. **الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ، ط١**

١٦. **عبد الرحمن البراك، شرح العقيدة الطحاوية، دار التدمرية، ٢٠٠٨م**

١٧. **عبد الرحمن حسن حبنكه، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق ـ بيروت، ط٢، ١٩٧٩م**

١٨. **القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٩٨٥م**

١٩. محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، دار الكتب العلمية، بيروت

٢٠. محمد سيد أحمد المسير، الرسول والوحي، درا ابن كثير، بيروت، طـ١، ١٩٨٧م

٢١. محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.